الجزء الثاني

الباب الثالث والأربعون: في الهجاء ومقدماته

القصد من الهجاء الوقوف على مُلَحِه، وما فيه من ألفاظ فصيحة ومعان بديعة، لا التشفي بالأعراض والوقوع من الهجاء دليلاً على إساءة المهجو، ولا صدق الشاعر فيما رماه به، فيما ليس كل مذموم بذميم، وقد يهجى الإنسان بهتاناً وظلماً أو عبثاً أو إرهاباً. قال المتوكل لأبي العيناء: كم تمدح الناس وتذمهم؟ قال: ما أحسنوا وأساءوا. وقد رضي الله تعالى على عبد من عبيده فمدحه فقال: ﴿**نعم العبد إنه أواب**﴾[1] وغضب على آخر فقال: ﴿**مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم**﴾[2] قيل: الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم. وقال دعبل في المأمون بعد البيعة له وقتل الأمين:

إني من القومِ الذين همو همو ... قتلوا أخاك وشرَّفُوك بمقعد

شادوا لذكرِك بعدَ طولِ خمولِهِ ... واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ[3]

فقال المأمون: ما أبهته[4]، ليت شعري متى كنت خاملاً؟ وفي حجر الخلافة ربيت، وبدرّها غذيت. ولما قتل جعفر بن يحيى بكى عليه أبو نواس. فقيل له: أتبكي على جعفر وأنت هجوته؟ فقال كان ذلك لركوب الهوى وقد بلغه والله أني قلت:

ولستُ وإن أطنبتُ في وصف جعفرٍ ... بأوّلِ إنسانٍ خرى في ثيابه

فكتب يدفع إليه عشرة آلاف درهم يغسل بها ثيابه.

ومن العبث بالهجو ما وري أن الحطيئة، همّ بهجاء فلم يجد مَنْ يستحقه فقال:

أبَتْ شفتايَ اليومَ إلا تكلُّماً ... بشَرٍّ فلا أدري لمَنْ أنا قائلُهْ

أرَى بي وجهاً قبّح الله خَلْقُهُ ... فقبِّح من وجهٍ وقُبِّح حامِلُهْ

وعبث بأمه فقال:

تنحّي فاجلسي عنّا بعيداً ... أراحَ الله منكِ العالمينا

أغربالاً إذا استودعتِ سرّاً ... وكانوناً[5] على المتحدِّثينا

---

(١) سورة: صّ، الآيتان: ٣٠ و٤٤.

(٢) سورة: القلم، الآيتان: ١٢ ـ ١٣.

(٣) الأوهد: الأرض المنخفضة.

(٤) البهتان: الكذب والزور.

(٥) الكانون: الموقد.

حيـاتُـك مـا علمـتُ حيـاةَ سـوءٍ ومـوتـك قـد يسـرُّ الصـالحينـا

قال رجل: ما أبالي، أهجيت أم مدحت. فقال له الأحنف: ارحت نفسك من حيث تعب الكرام. وقال رجل الآخر: إن هجوتني أتموت ابنتي؟ قال: لا، قال: أفتخرب ضيعتي؟ قال: لا، قال: فرجلي مع ساقي إلى حلقي في حر[١] أمك: قال: ولمَ تركتَ رأسك؟ قال: لأنظر ما تصنع. وأنا أقول: إنما يخشى من الهجو مَنْ يخاف على عرضه، وأما مَنْ لا يخاف على عرضه فقد يستوي عنده المدح والذم وبئس الرجل ذاك. وكان الرجل من نمير إذا قيل له: ممن الرجل؟ يقول: من نمير وأمال بها عنقه فلما هجاهم جرير بقوله:

فغـضَّ الطـرفَ إنـكَ مـن نميـرٍ فـلا كعبـاً بلغـتَ ولا كـلابـا

صار إذا قيل لأحدهم: ممن الرجل؟ يقول: من بني عامر. وما لقيت قبيلة من العرب بهجوٍ ما لقيت نمير بهجو جرير. وهجا ابن بسام رجلاً فقال:

يـا طلـوعَ الـرقيـبِ مـن غيـرِ إلـف يـا غـريمـاً أتـى علـى ميعـادِ
يـا ركـوداً فـي وقـتِ غيـمٍ وصيـفٍ يـا وجـوهَ التجـارِ يـومَ كسـادِ

وقصد ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء، فانصرف مغضباً فوجه إليه داود بن حاتم فترضاه وأحسن إليه فقال في ذلك:

داودُ محمـودٌ وأنـتَ مـذمَّـمٌ عجبـاً لـذاك وأنتمـا مـن عـودِ
ولَـرُبَّ عـودٍ قـد يشـقُّ لمسجـدٍ نصفـا وبـاقيـه لحـش[٢] يهـودي
فـالحـشُّ أنـتَ لـه وذاك بمسجـدٍ كـم بيـن مـوضـعِ مسلـحٍ[٣] وسجـودِ
هـذا جـزاؤك يـا قبيـصُ لأنـه جـادَتْ يـداه وأنـت قفـلُ حـديـدِ

وله هجاء في خالد:

أبـوك لنـا غيـثٌ يغيـثٌ بـوبلـه[٤] وأنـتَ جـرادٌ لسـتَ تبقـي ولا تـذر
لـه أثـرٌ فـي المكـرمـاتِ يسـرّنـا وأنـت تُعفّـي دائمـاً ذاك الأثـر

وقال المبرّد في حقه: لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل، ومدح أبيه إلا له. ولما قعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد:

قـال لـلأميـن جـزاكَ الله صـالحـةً لا يجمـعُ الله بيـن السخـلِ[٥] والـديـبِ
السخـلُ يعلـمُ أن الـذئـبَ آكلُـهُ والـذئـبُ يعلـمُ مـا بـالسخـل مـن طيـبِ

(١) الحَر: قُبُل المرأة.
(٢) الحُش: كناية عن المرصاض.
(٣) مسلح: مكان التغوّط.
(٤) بوبله: بمطر جوده وغيثه.
(٥) السخل: ولد الشاة.

وقال فيه أيضاً:

يـــا أبـــا الفضـــلِ لا تَنَـــمْ وقَـــعَ الـــذئـــبُ فـــي الغَنَـــمْ
إن حمـــــادَ عجـــــردٍ شيـــخُ ســـوءٍ قـــد اغتنَـــمْ
بيـــن فخـــذَيْـــهِ حـــربـــةٌ فـــي غـــلافٍ مـــن الأدم
إن رأى ثَـــــمَّ غفلـــــةً يجمـــعُ الميـــمَ بـــالقلـــم

فشاعت الأبيات فأمر الأمين باخراج حماد. وقال رجل لأخيه لأبويه: لأهجونك هجاء يدخل معك في قبرك. ال: كيف تهجوني وأبوك أبي وأمك أمي. قال: أقول[1]:

بنـــي أميـــةَ هبـــوا طـــالَ نـــومكمـــو إن الخليفـــــةَ يعقـــــوبُ بـــــن داودِ
ضـاعَـتْ خـلافتُكُـم يـا قـومُ فـالتَمِسُـوا خليفـــة الله بيـــنَ المـــاءِ والعـــودِ

فدخل يعقوب على المهدي فأخبره أن بشاراً هجاه، فاغتاظ المهدي وانحدر إلى البصرة لينظر في أمرها فسمع اناً في ضحى النهار فقال: انظروا ما هذا؟ وإذا به بشار وهو سكران. فقال له: يا زنديق عجب أن يكون هذا من يرك، ثم أمر به فضربه سبعين سوطاً حتى أتلفه بها، وألقي في سفينة. فقال عين الشمقمق تراني حيث يقول:

إن بشـــــارَ بـــــنَ بـــــردٍ تيـــسُ أعمـــى فـــي سفينَـــهْ

فلما مات ألقيت جثته في الماء، فحمله الماء فأخرجه إلى الدجلة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة أخرجت جنازته فما تبعه أحد، وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم من الأذى منه. وخاصم أبو دلامة رجلاً ارتفعا إلى عافية القاضي فلما رآه أبو دلامة أنشد يقول:

لقـــد خـــاصَمَتْنـــي دهـــاةُ الـــرجـــالِ وخـــــاصمتهـــــا ســـنـــــة وافيَـــــهْ
فمـــــا أدحـــــضَ الله لـــــي حجـــةً ولا خيَّـــــبَ الله لـــــي قـــــافيَـــــهْ
ومـــن خفـــتُ مـــن جـــوره فـــي القضـ ـــاءِ فلســـتُ أخـــافُـــكَ يـــا عـــافيَـــهْ

فقال عافية: لأشكونَّك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنَّه أنك هجوتني. قال له أبو دلامة: إذاً والله يعزلك. قال: لم؟ قال: لأنك لا تعرف الهجاء من المدح. قال: فبلغ ذلك المنصور فضحك وأمر له بجائزة. ودخل أبو دلامة على مهدي وعنده إسماعيل بن علي، وعيسى بن موسى، والعباس بن محمد، وجماعة من بني هاشم فقال له المهدي: الله لئن لم تهج واحداً ممن في هذا البيت لأقطعن لسانك. فنظر إلى القوم وتحير في أمره، وجعل ينظر إلى كل واحد غمزه بأن عليه رضاه. قال أبو دلامة: فازددت حيرة، فما رأيت أسلم لي من أن أهجو نفسي فقلت:

ألا أبْلِـــغْ لـــديـــكَ أبـــا دلامـــة فلســـتَ مـــن الكـــرامِ ولا كـــرامَـــهْ
جمعـــتَ دمـــامـــةً وجمعـــتَ لـــؤمـــاً كـــذاكَ اللـــؤمُ تتبعُـــهُ الـــدمـــامَـــهْ
إذا لبـــسَ العمـــامـــةَ قلـــتَ قـــرداً وخنـــزيـــراً إذا نـــزَعَ العمـــامَـــهْ

---

[1] هذا القول لبشار ويبدو هنا سقطٌ قبل أبيات بشار لم أهتد إليه.

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد إلا أجازه.

وقال ابن الأعرابي: إنّ أهجى بيت قاله المحدثون قول محمد بن وهب في محمد بن هاشم:

لم تَنْدَ كفَّاك من بذلِ النوالِ كما ... لم يَنْدَ سيفُك مذ قُلِّدتَهُ بدمِ

وهجا بعضهم القمر فقال: يهدم العمر، ويوجب أجرة المنزل، ويشحب الألوان ويقرض الكتان ويضل الساري[1] ويعين السارق ويفضح العاشق.

ولابن منقذ في ابن طليب المصري وقد احترقت داره:

انظر إلى الأيامِ كيفَ تسوقُنا ... قسراً إلى الأقدارِ بالأقدارِ
ما أوقدَ ابن طليبَ قط بدارِهِ ... ناراً وكان خرابُها بالنارِ

وكان للوجيه بن صورة المصري دلال الكتب، دار بمصر موصوفة بالحسن فاحترقت فقال فيها ابن المنجم:

أقولُ وقد عاينتُ دارَ ابنِ صورةٍ ... وللنارِ فيها وهجةٌ تتضرَّمُ
فما هو إلا كافرٌ طالَ عمرُهُ ... فجاءَتْهُ لمَّا استبطأَتْهُ جهنَّمُ

وقد أحسن الأديب كمال الدين علي بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى في ذم دار كان يسكنها حيث قال:

دارٌ سكنتُ بها أقلُّ صفاتِهَا ... أن تكثر الحشراتُ في جنباتها
الخيرُ عنها نازحٌ متباعدٌ ... والشرُّ دانٍ من جميعِ جهاتها
من بعضِ ما فيها البعوضُ عدمته ... كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سناتها
وتبيت تسعدُها براغيث متى ... غنَّتْ لها رقصَتْ على نغماتها
رقصٌ بتنقيطٍ ولكنّ قافه ... قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضبابِ يسدُّ عيـ ... ـنَ الشمسِ ما طربي سوى غناتها
أينَ الصوارمُ والقنا من فتكِها ... فينا وأينَ الأسد من وثباتها
وبها من الخطافِ ما هو معجزٌ ... أبصارَنا عن وصفِ كيفياتها
وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارَهَا ... مع ليلِهَا ليسَتْ على عاداتها
وبها من الجرذانِ ما قد قصرَتْ ... عنهُ العتاقُ[2] الجردُ في حملاتها
وبها خنافسُ كالطنافسِ[3] أفرشت ... في أرضها وعلَتْ على جنباتها
لوشمِ أهلُ الحربِ متنَ فسوِها ... أردى الكماةَ الصيدُ[4] عن صهواتها

(١) الساري: السائر ليلاً.
(٢) العتاق: الخيول الكريمة.
(٣) الطنافس: المخدات.
(٤) الصيد: ذوي الحسب والشرف.

وبنـــاتُ وردانَ[١] وأشكـــالٌ لهـــا ... ممـــا يفـــوتُ العيـــنَ كنـــهَ ذواتهـــا
أبـــداً تمـــصُّ دمـــاءنـــا فكـــأنَّهـــا ... حجـــامـــةٌ لبـــدَتْ علـــى كـــاســـاتهـــا
وبهـــا مـــن النمـــلِ السليمـــانـــيّ مـــا ... قـــد قـــلّ ذرُّ الشمـــس عـــن ذراتهـــا
مـــا راعنـــي شـــيءٌ ســـوى وزغـــاتِهَـــا[٢] ... فتعـــوّذوا بـــالله مـــن لـــدغـــاتهـــا
سجعـــت علـــى أوكـــارِهـــا فظننتُهَـــا ... ورقَ الحمـــامِ سجعـــن فـــي شجـــراتهـــا
وبهـــا زنـــابيـــرٌ تظـــنُّ عقـــاربـــاً ... حـــرُّ السمـــوم أخـــفُّ مـــن زفـــراتهـــا
وبهـــا عقـــاربٌ كـــالأقـــاربِ رتـــعٌ ... فينـــا حمـــانـــا الله لَـــذْعَ حمـــاتهـــا[٣]
كيـــفَ السبيـــلُ إلـــى النجـــاةِ ولا نجـ ... ـــاةَ ولا حيـــاةَ لمـــن رأى حيّـــاتهـــا
منســـوجـــةٌ بـــالعنكبـــوت سمـــاؤهـــا ... والأرضُ قـــد نسجَـــتْ علـــى آفـــاتهـــا
فضجيجُهَـــا كـــالـــرعـــدِ فـــي جنبـــاتهـــا ... وتـــرابُهـــا كـــالـــرمـــل فـــي خشنـــاتهـــا
والبـــومُ عـــاكـــفـــةٌ علـــى أرجـــائـــهـــا ... والـــدود يـــبـــحـــث فـــي ثـــري عـــرصـــاتهـــا
والجـــنُّ تـــأتيهـــا إذ جـــنَّ الـــدُّجـــى ... تحكـــي الخيـــولَ الجـــردَ فـــي حمـــلاتهـــا
والنـــارُ جـــزءٌ مـــن تلهُّـــبِ حـــرِّهـــا ... وجهنَّـــمُ تعـــزى إلـــى لفحـــاتهـــا
شـــاهـــدتُ مكتـــوبـــاً علـــى أرجـــائهـــا ... ورأيـــتُ مسطـــوراً علـــى جنبـــاتهـــا
لا تقـــربُـــوا منهـــا وخـــافُـــوهـــا ولا ... تلقُـــوا بـــأيـــديكـــم إلـــى هلكـــاتهـــا
أبـــداً يقـــولُ الـــداخلـــون ببـــابهـــا ... يـــا ربُّ نـــجِّ النـــاسَ مـــن آفـــاتهـــا
قـــالـــوا إذا نـــدبَ الغـــرابُ منـــازلا ... يتفـــرَّقُ الســـكـــانُ مـــن ســـاحـــاتهـــا
وبـــدارِنَـــا ألفـــا غـــرابٍ نـــاعـــقٍ ... كـــذبَ الـــرواةُ فـــأيـــنَ صِـــدْقُ رواتهـــا
صبـــراً لعـــلَّ الله يعقـــبُ راحـــةً ... للنفـــس إذا غلبَـــتْ علـــى شهـــواتهـــا
دارٌ تبيـــتُ الجـــنُّ تحـــرسُ نفسهـــا ... فيهـــا وتنـــدبُ بـــاختـــلاف لغـــاتهـــا
كـــم بـــتُّ فيهـــا مفـــرداً والعيـــنُ مـــن ... شـــوقِ الصبـــاحِ تسـحُّ[٤] مـــن عبـــراتهـــا
وأقـــولُ يـــا ربَّ الســـمـــواتِ العُـــلا ... يـــا رازقـــاً للـــوحـــشِ فـــي فلـــواتهـــا
أسكَنْتَنـــي بجهنَّـــمَ الـــدنيـــا ففـــي ... أخـــراي هَـــبْ لـــي الخلـــدَ فـــي جنـــاتهـــا
واجمَـــعْ بمـــن أهـــواه شَمْلـــي عـــاجـــلاً ... يـــا جـــامِـــعَ الأرواحِ بعـــدَ شتـــاتهـــا[٥]

ولبعضهم في بلان[٦]:

---

(١) وردان: ما تعرف الآن بالصراصير.
(٢) زغاتها: حيوان زاحف قبيح من قبيل الحرباء.
(٣) حماتها: تورية بين حدة العقرب والحماة أم الزوج.
(٤) تسحُّ: تسيل.
(٥) الشتات: التفرق.
(٦) البلان: عامل الحمام.

أشكـــو إلـــى الله بـــلاَّنـــاً بليـــتُ بـــهِ ... مسَّـــتْ أنـــاملُـــهُ ظهـــري فـــأدمـــانـــي
فـــلا يُـــدَلِّـــكُ تـــدليكـــاً بمعـــرفـــةٍ ... ولا يســـرِّحُ تســـريحـــاً بـــإحســـانِ

وللشيخ شمس الدين البديري في بلان أيضاً:

وبـــلاَّنٍ لـــه ظهـــرٌ يبـــاهـــي ... بـــه حـــدَّ الشفـــارِ المـــرهفـــاتِ
هـــرى جسمـــي فـــألْبَسَـــهُ نجيعـــاً[1] ... علـــى حلـــلِ الستـــورِ الســـابـــلاتِ
ورام يليـــنُ أعضـــائـــي بـــرفـــقٍ ... فـــأيْبَسَهـــا وكَسَـــرَ فـــوقحـــاتـــي
ولـــم أنظُـــرْ لـــه أبـــداً جميـــلاً ... وذلـــكَ مـــن عظيـــمِ المهلكـــاتِ
وأعمـــى مقلتـــي بصنـــان إبـــطٍ ... يفـــوحُ بـــه علـــى كـــلِّ الجهـــاتِ
فـــلا تجعَـــلْ إلهـــي مثـــلَ هـــذا ... يغسِلُنـــي إذا حـــانَـــتْ وفـــاتـــي

ولبعضهم في حمَّام:

وحمَّـــــام دخلنـــــاهُ لأمـــــرٍ ... حكـــى سقـــراً وفيهـــا المجـــرمـــونـــا
فيصطـــرخـــواً يقـــولـــون اخْـــرِجُـــونـــا ... فـــإنْ عُـــدْنَـــا فـــإنّـــا ظـــالمـــونـــا

وللشريف أبي يعلى الهاشمي البغدادي في نظام الملك يهدده بالهجاء يقول:

أيجمـــلُ يـــا نظـــامَ الملـــكِ أنـــي ... أعـــاودُ مـــن ذراك كمـــا قـــدمـــتُ
وأصـــدرُ عـــن حيـــاضِـــكَ وهـــي نهـــبٌ ... بـــأفـــواهِ السُّقـــاةِ ومـــا وردتُ
يـــدلُّ علـــى فعـــالِـــكَ ســـوءُ حـــالـــي ... ويخبـــرُ عـــن نـــوالِـــكَ إنْ كتمـــتُ
إذا استُخْبِـــرْتُ مـــاذا نلـــتَ منـــه ... وقـــد عـــمّ الـــورى كـــرمـــاً سكـــتُّ

وممن عرّض بالهجو في شعره الخوارزمي قال في أبي جعفر:

أبـــا جعفـــرٍ لســـتَ بـــالمنصـــفِ ... ومثلُـــك إن قـــالَ قـــولاً يفـــي
فـــإن أنـــتَ أنجَـــزْتَ لـــي مـــا وَعَـــدْتَ ... وإلا هُجِيـــتَ وأدْخِلْـــتَ فـــي
وقـــد علـــمَ النـــاسُ مـــا بَعْـــدَ فـــي ... فغـــطِّ الحـــديـــثَ ولا تكشـــفِ

ومدح السراج الوراق إنساناً فلم يجزه فكتب يعرض له بالهجاء ويهدده يقول:

أعِـــدْ مـــدحـــي علـــيَّ وخُـــذْ ســـواه ... فقَـــدْ أتعَبْتَنـــي يـــا مستـــريـــحُ
ولا تغضَـــبْ إذا أنشِـــدْتَ يـــومـــاً ... ســـواهُ وقيـــلَ لـــي هـــذا صحيـــحٌ

وله أيضاً يقول:

أعِـــدْ مـــدحـــاً كـــذبـــتُ عليـــكَ فيـــهِ ... وقـــد عـــوقبـــتُ بـــالحـــرمـــانِ عنـــه
ولكنـــي ســـأصـــدقُ فيـــكَ قـــولاً ... فـــلا يصعـــبُ عليـــك الحـــقُّ فيـــه

(١) النجيع: الدم.

وقال بعضهم في حجاج قدموا ولم يهدوا إليه شيئاً:

مضَوْا ليحجُّوا والوجوهُ كأنها ... تكادُ الفرطِ البشرِ أن توضحَ السبلا[١]
وعادوا كأنَّ القارَ[٢] فوقَ وجوهِهم ... فلا مرحباً بالقادمين ولا سَهْلا
وجاءُوا وما جادُوا بعودِ أراكةٍ ... ولا وضَعُوا في كفِّ طفلٍ لنا نقلا

وقال آخر:

إذا رمتُ هجواً في فلان تصدُّني ... خلائقُ قبحٍ عنه لا تتزحزحُ
تجاوَزَ قَدْرَ الهجوِ حتَّى كأنَّهُ ... بأقبحِ ما يُهجى به المرءُ يُمدحُ

وهجا بعضهم امرأة فقال:

لها جسمُ برغوثٍ وساقُ بعوضةٍ ... ووجهٌ كوجهِ القرد بل هو أقبحُ
تبرّق عينيها إذا ما رأيتَهَا ... وتعبسُ في وجهِ الضجيعِ وتكلحُ
لها منظرٌ كالنارِ تحسبُ أنها ... إذا ضحكَتْ في أوجهِ الناسِ تلفحُ[٣]
إذا عاينَ الشيطانُ صورةَ وجهِهَا ... تعوّذَ منها حين يمسي ويُصبِحُ

ولبعضهم في عظيم أنف:

لك وجهٌ وفيه قطعةُ أنفٍ ... كجدارٍ قد دعمُوهُ ببغلَهْ
وهو كالقبرِ في المثالِ ولكنْ ... جعلوا نصفَهُ على غيرِ قبلَهْ

وفيه أيضاً:

رأينا للزكي جدارَ أنفٍ ... يضاهي في تشامخِهِ الجبالا
تصدَّى للهلالِ لكي يراهُ ... فلولا عُظْمُهُ لرأى الهلالا

ولبعضهم في أبخر[٤] مخنث:

قالوا فلانٌ نَتِنٌ فقلتُ لهم ... يا قومُ قد حارَ فكري في مساويهِ
يا قومُ لا تعجَبوا من نتنِ نكهتِهِ ... فالايرُ يدفَعُ ما فيهِ إلى فيهِ[٥]

ولصفّي الدين الحلي[٦]:

---

(١) البشر: السرور.
(٢) القار: الزفت.
(٣) تلفح: تحرق.
(٤) أبخر: ذو نكهة رديئة.
(٥) فيه الأولى جار ومجرور: فيه الثانية: فمه.
(٦) يشطّر في هذه الأبيات. أبياتاً لأمرىء القيس من المعلقة هي الشطر الثاني من كل بيت.

رأى فرسي إصطبلَ عيسى فقال لي ... قفَا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
به لم أذُقْ طعمَ الشعيرِ كأنني ... بسقطِ اللوى بين الدخولِ فحوملِ
تقعقع من بردِ الشتاءِ أضالعي ... لِمَا نَسَجَتْهَا من جنوبٍ وشمألِ

وله أيضاً:

ليهنِكَ أنَّ لي ولداً وعبداً ... سواءٌ في المقالِ وفي المقام
فهذا سابقٌ من غير سينٍ[1] ... وهذا عاقلٌ من غير لام[2]

وله في طبيب يدعى إسحاق:

مباضعُ[3] إسحاقَ الطبيبِ كأنها ... لها بفناءِ العالمين كفيلُ
معوّدةٌ أن لا تسلَّ نصالُها ... فتغمدَ حتى يستباحَ قتيلُ

وله في أحمق طويل اللسان:

لو أن قوّةَ وجههِ في قلبِهِ ... قَنَصَ الأسودُ وجندلَ الأبطالا
أو كان طولُ لسانِهِ بيمينه ... أفنى الكنوزَ وأنفدَ الأموالا

وهجا إعرابي رجلاً ثم مدحه فقال:

إني مدَحْتُكَ من فسادِ قريحتي ... وعلمتُ أن المدح فيك يضيعُ
لكنْ رأيتُ المسكَ عند فسادِهِ ... يدني إلى بيتِ الخلا فيضوعُ

وقيل لبعضهم: ما تقول في فلان وفلان؟ قال: هما الخمر والميسر، إثمهما أكثر من نفعهما. وقيل لرجل: كيف وجدت فلاناً؟ قال طويل اللسان في اللؤم، قصير الباع في الكرم، وثاباً على الشر، منّاعاً للخير. وسمع إعرابي قوله تعالى: ﴿الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً﴾[4] انتفض ثم سمع قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾[5] فقال: الله أكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قال الشاعر:

هجوتُ زهيراً ثم إني مدَحْتُه ... وما زالتِ الأشرافُ تُهجى وتُمدحُ

استبّ رجلان فقال أحدهما للآخر: لو قطع زبك وعلّق لم تبق زانية بالكوفة إلا عرفته. وقال أبو زيد العبدي:

ولقد قتلتُكَ بالهجاءِ فلم تَمُتْ ... إن الكلابَ طويلةُ الأعمارِ

وقال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي أحد في المجلس إلا هجاك وذمك غيري فقال:

إذا رضِيَتْ عني كرامُ عشيرتي ... فلا زالَ غضباناً عليّ لئامُهَا

---

(١) غير سينٍ: أي آبق، غير مطيع.
(٢) أي عاق: غير بار.
(٣) المبضع: المشرط.
(٤) سورة: التوبة، الآية: ٩٧.
(٥) سورة: التوبة، الآية: ٩٩.